

## تقلبات وادي مجردة وتأثيراتها على الرومان.

The Fluctuations of the Medjerda valley and their impact on the Romans.



\*د. عبدالقادر بخضرة

جامعة محمد الشريف مساعدي سوق أهراس.

a.bekhadra@univ-soukahras.dz

تاريخ الاستلام: 2025/08/27 تاريخ القبول: 2025/11/22 تاريخ النشر: 2025/12/16



## ملخص:

يتناول الموضوع التغيرات الطبيعية والمناخية في وادي مجردة بشمال إفريقيا، وكيف أثرت هذه التقلبات على الوجود الروماني في المنطقة، فعلى الرغم من الأهمية التي كان يحظى بها الوادي لدى الرومان، إلا أنه شهد تقلبات مناخية وبيئية تمثلت في فترات من الجفاف وأحيانا فيضانات، وانجرافات الترابية.

كما يتناول الموضوع الأسباب المؤدية الى تلك التغيرات، وانعكاساتها مثل تقلص المساحات الصالحة للزراعة، واضعاف الحملات العسكرية، تدمير البنى التحتية الرومانية من مدن وقرى مجاورة له، تحطم الجسور لأكثر من مرة، إضافة إلى عرقلة الأنشطة الاقتصادية الرومانية كالنقل والزراعة أثناء فترات التقلب المناخي.

**الكلمات المفتاحية:** وادي مجردة؛ الرومان؛ الفيضانات؛ تغير المجاري؛ الحملات العسكرية؛ التعمير.

## Abstract:

The Medjerda Valley in North Africa, vital to the Romans, faced significant environmental and climatic changes, including droughts, floods, and soil erosion. These fluctuations reduced arable land,

\* المؤلف المراسل

weakened Roman military campaigns, and damaged infrastructure such as cities, villages, and bridges. Economic activities like agriculture and transportation also suffered during unstable climatic periods. Despite the valley's strategic importance, these environmental challenges played a key role in undermining Roman presence and control in the region.

*key words:* Medjerda Valley; Romans; Flood; course shifts; military campaigns; reconstruction.

### مقدمة:

يعد وادي مجردة من أبرز الأودية في شمال إفريقيا ، يمثل شرياننا مائيا حيويا في تاريخ تونس منذ العصور القديمة، فقد كان لهذا الوادي دور مركزي في الحياة الاقتصادية والاجتماعية لم تختلف الحضارات التي تعاقبت على المنطقة، من بينها الحضارة الرومانية التي عرفت بإتقانها لنظم الري وتدير الماء.

مع قدوم الرومان إلى شمال إفريقيا منذ ما قبل تدمير قرطاج سعوا إلى احتلال المناطق المجاورة للوادي واستغلال الموارد الرئيسية التي خضعت للتنظيم والتوظيف المكثف في الزراعة أو دعم المدن الرومانية التي أنشئت على ضفافه، غير أن هذا الاستغلال لم يكن دائما دون أثر، فقد رافقته تغيرات وتقلبات واضحة في بنية هذا الوادي من حيث قوة التدفق أو جفافه ، تغيير مساره أو نوعية الاستخدام....إلخ.

ومنه نطرح الإشكالية : ما مدى تأثير التقلبات الطبيعية لوادي مجردة على الرومان عسكريا وحضاريا ؟ كيف أثرت العوامل البشرية والطبيعية في تغيير مسار وادي مجردة؟ وللإجابة عن الإشكالية نتبع المنهج التاريخي الوصفي لأجل دراسة مظاهر التغير في وادي مجردة في العهد الروماني وأهم الأحداث التي تعاقبت من وراء تلك التقلبات، وطرق تعامل الرومان معها، فقد شهد وادي مجردة تغيرات كبيرة في مساره أو حجم تغير منسوب المياه ترك أثرا كبيرا في عرقلة الحملات العسكرية الرومانية أو في التعمير ما بعد الاحتلال على المستوطنات المجاورة له والجسور العابرة عليه.

**أولا: تأثير تقلبات وادي المجردة على بعض الحملات العسكرية الرومانية:**

بعد موقع وادي مجرد من العوامل الجغرافية المهمة التي ساهمت في ازدهار الوجود الروماني بشمال إفريقيا، لكن في المقابل، شكل الوادي عقبة امام الحملات العسكرية خاصة عند فيضانه أو جفافه، أو تغير مساره مما أعاق حركة الجيوش الرومانية وخطط توسعهم.

### 1. الموقع الجغرافي لوادي مجردة وأهميته:

أطلق على نهر المجردة اسم ماكار خلال العهد البونيقي، بينما أطلق عليه الرومان اسم بغراداس بالقرب منه، وبعد أن روى النهر السهول الواسعة، شهدت ضفافه والمناطق المجاورة له معارك بين قرطاج وروما لاحقاً، غير النهر مجراه في جزء آخر من مساره، مما أثر على تضاريس البلاد، وخاصة موقع أوتيكا القريب منه<sup>1</sup>، بلغ عرض وادي المجردة تسعين متراً، وكان لا يعبر إلا عبر جسر، وقد عرف الوادي في الحقبة الرومانية باسم بغراداس، بينما كان اسمه سابقاً ماكار أو ماجار<sup>2</sup>.

يقع وادي مجردة قرب قرطاج، ينبع من منطقة قريبة من سوق أهراس الجزائرية، ويتجه شرقاً، عبر تونس قرب مدينة جندوبة (Bulla Regia)، ثم يتجه نحو الجنوب الشرقي، ويبلغ طوله 450 كلم منها حوالي 350 كلم داخل الأراضي التونسية، يحمل هذا النهر الكثير من المياه في الشتاء؛ لكنه ينخفض كثيراً في الصيف وقد يجف أحياناً، يتميز بتقلباته الكبيرة وفيضاناته الموسمية، وقد تم تنفيذ عدد من مشاريع الري والسدود على النهر منذ العهد الروماني، كان يستخدم لأغراض زراعية، لكن الفيضانات تسببت على مر التاريخ في أضرار جسيمة يلتقي هذا الوادي بعدة أودية كوادي مالبان<sup>3</sup>.

ينبع وادي مجردة من منحدرات جبال بتيفيست، ويعبر الحدود الجزائرية متجهاً شمال غرب تونس ليصل إلى الخليج الصغير شرق قرطاج هناك وقبل أن يصل إليها، كان يوزع مياهه عبر تاغاست وماودور (Madaurus)<sup>4</sup>، حيث تم استغلال الأراضي السهلية الخصبة في زراعة الحبوب والعنب والزيتون، ما جعل المنطقة حيوية ومزدهرة اقتصادياً، ولهذا السبب، أرسلت روما مستوطنين فلاحين إلى إقليم نهر مجردة، لممارسة نشاط الزراعة بالقرب منه<sup>5</sup>.

في نهاية الحرب اليوغرطية ، تم تقسيم الأراضي الإفريقية إلى مناطق مثل سهول كوبرا ووادي مجردة، الذي اعتبره " هوييس " جزءا مهما من جغرافيا منها كان انتاجها من الحبوب مهما للعاصمة<sup>6</sup>، كانت معظم المناطق القريبة من وادي مجردة أشبه بالأراضي القاحلة قبل الاحتلال الروماني، كانت مياه مجردة تستخدم في ري تلك المناطق، مع مجيء الرومان، حسنوا ما وجدوه وطوروه، أنشأ المهندسون سدودا في مناطق مختلفة من نهر مجردة<sup>7</sup> الذي كان يجري من تيمقاد، نوميديا، إلى قرطاج، في المنطقة الرومانية الإفريقية<sup>8</sup>.

ازدادت أهمية شمال إفريقيا، خاصة في القرن الثاني الميلادي، بوصفها مصدرا أساسيا لتزويد روما بالحبوب، كما كانت كذلك مصدرا للعنب الفاخر وسواه من المنتجات الزراعية، وقد وثقت جهود الأباطرة الرومان في زيادة إنتاج الزيتون والعنب، من خلال عدد من النقوش التي عثر عليها في وادي مجردة، بالقرب من منطقة دوقة<sup>9</sup>.

## 2. تأثير تغيرات وادي مجردة على حملة ريغيليوس 225 ق.م:

كان نهر مجردة يصب على بعد عشرة كيلومترات شمال قرطاج، في النقطة التي تقع اليوم ضمن سبخة الروان، ولا يزال مجراه القديم ظاهرا وفق ما يؤكد الباحثون الآثريون، إذ غير النهر مجراه أثناء الحروب البونية الأولى، كان الجزء الجنوبي من الخليج شبه ممتلئ وفي تلك الفترة أقام القائد كرونوليوس معسكره المعروف باسم " كاسترا كرونيليا"، وكان وادي مجردة يبعد المعسكر من الجنوب عند مجراه الثاني خلال الحملة العسكرية<sup>10</sup>.

عند وصول الجيش الروماني إلى نهر مجردة، الذي كان آنذاك تحت سيطرة القرطاجيين ويصب قرب قرطاج، واجه القائد ريغولوس (Marcus Regulus) وجنوده مخلوقا غريبا وصفه المؤرخون بثعبان ضخيم سام يلوث النهر ويفسد الهواء، اعتبره الرومان خطرا يفوق خطر العدو، إذ كان يهاجم الجنود أثناء خروجه فصل جفاف النهر ويتلعمهم أحيانا، حاول الجيش قتاله، لكن أسلحته لم تؤثر فيه بسبب جلده السميك<sup>11</sup>.

وقد قاتل الجيش الروماني على ضفافه هذا مخلوق شبيه بالثعبان العملاق، يقال إن

طوله بلغ 120 قدما، وكان قادرا على الالتفاف حول جندي روماني وخنقه، هذا الكائن الزاحف ذو الفم الضخ، لم يكن طوله يقل عن 40 مترا من الرأس إلى الذيل، وكأنه خرج من مستنقعات دافئة في بيئة مدارية رطبة مليئة بالأعشاب الكثيفة والغابات، وقد وصفه "سيلوس إيتاليكوس" في نصوصه حين رأى وادي مجردة يتدفق ببطء على مسار ملتوي وسط الرمال القاحلة، نهر لا يتدفق بسرعة، بل يعتبر من أكثر الأنهار التواء وركودا في السهول الواسعة<sup>12</sup>.

فخلال الحرب البونية الأولى، أثناء محاولة الجنود الرومان جلب الماء من نهر مجردة، فوجئوا بظهور ثعبان ضخم مستقل على الضفة، حال دون وصولهم إلى المياه، فقد التهم هذا الثعبان عدداً كبيراً من الجنود، بينما قضى على آخرين بضغط لفات جسده عليهم، اضطر الرومان لاستخدام معدات الحصار مثل المقاليح والمنجنيقات، وقد بقي هذا الكائن حيّاً حتى قتل، وتدفق دمه في الوادي، فتسبب في انتشار طاعون نتيجة تفسخه، وقد نال الجنود شرفاً كبيراً حين تم تجريد جلد الوحش وإرساله إلى روما<sup>13</sup>.

أضفى سيلوس إيتاليكوس طابعا ملحيميا على القصة، إذ صور التنين ككائن يسكن كهفا بجوار نهر مجردة، يصل إلى العالم السفلي، عند مقتله، انفجرت ألسنة اللهب من النهر، واهتزت ضفافه، تكشف الرواية أن التنين كان حاميا لحوريات النهر، وقد قتل جنود ريغوليوس هؤلاء الحوريات، مما دفع التنين للانتقام، ناشرا سمومه من كهف مظلم، ومسببا مقتل العديد من الجنود الرومانيين (ينظر الملحق رقم 4)<sup>14</sup>.

أما "تيتوس ليفيوس"، فقال إن الجيش الروماني خاض معركة مصيرية ضد هذا الثعبان باستخدام آلات الحرب، دون ذكر عدد الضحايا، لكن يروى أن جلد الثعبان أرسل إلى روما وبقي معروضا لأكثر من قرن كانت حملة ريغولوس صعبة، وانتهت بمعركة كبيرة خسر فيها الرومان، حيث واجهوا ثلاثين ألف مقاتل قرطاجي بستة عشر ألف جندي روماني، ولم ينج منهم سوى ألفي جندي عادوا إلى سفنهم، ومن أسباب الهزيمة أن عددا

كبيراً من الجنود ماتوا تحت أقدام الفيلة، كما أن المعركة جرت في فصل الصيف عندما جفت الأودية من شهر أبريل إلى أكتوبر، ولم يجد الفرسان والمشاة ما يكفي من الماء حتى وادي مجردة غير مجراه أنا ذاك، وما خسره الجيش أمام الأفعى الضخمة من جنود<sup>15</sup>.

### 3. صعوبة معركة ميتلوس ضد يوغرطة عند ضفاف مجردة:

بعد طرد ألبيونس، وإرساله للمنفى، عقب غزو إفريقيا، عاد "ميتلوس" الذي لقب لاحقاً بـ"القائد البدوي للحرب في إفريقيا"، إلى تنظيم النظام والانضباط في الجيش، الذي لم يكن من الممكن تضليله أو شراؤه تقدم الجيش في نوميديا عبر وادي مجردة، لكنه اصطدم بقوات منهارة فهزم في زاما وأعلن الانسحاب<sup>16</sup>.

لم تكن الانتصارات التي حققها ميتيليوس مكتملة، لأنها كلفته خسائر كبيرة في القتلى والجرحى أكثر مما خسره النوميديون، وأشار إلى أن القتال ضد الأعداء لم يكن متكافئاً، لأنهم هزموا بخسائر أقل من خسائر رجاله، وقد حوَّصر جيشه خلال حرب الكر والفر، بينما كان الرومان يقاتلون بثبات في أماكنهم، بالإضافة إلى ذلك استطاع يوغرطة تعويض خسائره بسهولة، بينما اضطر ميتلوس إلى سحب قواته من إيطاليا<sup>17</sup>.

استغل ميتلوس أشهر الشتاء الطويلة لمحاولة التغلب على يوغرطة بالدبلوماسية والحداد ومع ذلك هزم يوغرطة على يد ميتيليوس خلال حصار زامة، قرب وادي مجردة، وكانت معركة ناجحة، لكن يوغرطة لم يستسلم بعد هذه المعركة، بل واصل المقاومة، مستفيداً من معرفته الجيدة بالأراضي ودعمه من عدد من القبائل المحلية<sup>18</sup>، كان وادي مجردة مسرحاً لمعركة بين الجيوش النوميديّة وجيش ميتيليوس القادم من فاغا كانت الجيوش تتوغل نحو سيقا عبر ضفاف مجردة، تحت مراقبة القادة وبمساعدة بوميكار، وكانت جيوش يوغرطة تقطع الوديان بأقدام الفيلة الثقيلة، وكان هذا أحد أسباب نجاح يوغرطة في عبور الوادي (بينما جيش ميتلوس عجز عن عبور وادي مجردة)، وقد تحولت ضفاف بغيراداس وروافده إلى مناطق صراع، التي قادها جيش يوغرطة ضد الرومان، وكغيرها من المعارك على ضفاف

بغراداس، انتهت هذه المواجهات لصالح يوغرطة، الذي وقف في وجه التوسع الروماني وأفسد مجلس الشيوخ، لكن تم القضاء عليه لاحقاً<sup>19</sup>.

كانت حملة ميتيلوس وجيشه صعبة إلى حد ما، كان عليه أن يعبر الأودية، بما في ذلك وادي مجردة، في منتصف الشتاء، لكن هذا لم يحدث لذا توجه غرباً ضد يوغرطة وحلفائه في ملكار، عندما لم يجد طريقاً آخر سوى وادي مالغ أو أحد فروعها، بدلا من وادي مجردة لأجل ملاحقة النوميديين، حيث نعلم أن الكتلة الجبلية لا يمكن اقتحامها، بل من الصعب حتى عبورها مع وجود الأودية، ولذلك فهي غير مناسبة لعبور الجيش بعد ذلك غير طريقه وعبر المنطقة<sup>20</sup>.

فقد ظل نهر المجردة عقبة أمام الجيوش المتحاربة في العصور اللاحقة، إذ كانت وفرة مياهه تمنع العبور مشياً على الأقدام، وكان هناك جسر واحد فقط فوقه، وغالبا ما كان محروسا بوجود معسكرات، مما جعل عبوره مستحيلاً، وفي أحيان أخرى كانت الرياح تحرك الرمال فتتشكل ممرات مؤقتة تتيح عبوره مشياً على الأقدام<sup>21</sup>.

كان يوغرطة يسعى للحصول على معلومات عن الطرق التي ينوي ميتيلوس سلوكها، فتم تزويده بالمعلومات لاختيار موقع المعركة، ليكون في وادي موثول، المعروف حالياً سبوس وتحديدًا في الجزء الغربي من تونس، لخوض المعركة لتحديد منطقة فاغا أو زامة في جنوب وادي مجردة، وهي المنطقة التي تمر بها الأودية الفرعية لنهر مجردة، مثل ملاق ووادي سليانا، هذه الأودية تحيط بها أراضي على طول امتداد الأودية مناطق غير مزروعة ما عدا الأشجار الكثيفة المنتشرة بجوارها، احتل يوغرطة كل هذه التلال<sup>22</sup>.

#### 4. تقلبات وادي مجردة وأثرها على معركة كوريون: (47-46 ق.م)

نزل كوريو (Gaius Curio) في أنكوليا، وهي منطقة غير معروفة تبعد يومين سيرا على الأقدام من نهر مجردة، كان كوريو أول من أنشأ معسكره على ضفة النهر، وترك الحراسة للضابط كاتينيوس ريلوس، قاد الهجوم إلى السيطرة على مدينة كرونيليا، التي تقع مقابل

مدينة أوتيكّا، بعد غارة نفذها فريق فورساني عاد كوريو من أوتيكّا إلى معسكره، نشب صدام بين الجيشين انتهى بانتصار كوريو، فيما تم دفع قوات فاروس إلى داخل معسكراتهم، كسر كوريو الحصار المضروب على أوتيكّا، حيث التقى بجيش الملك يوبا، تمكن هذا الأخير من خداع العدو، فواجهوه في المعركة<sup>23</sup>.

غادر كوريو معسكره بجزء من قواته متجها نحو وادي مجردة، فالتقى بسرعة بقائد الجيش النوميدي، وأكدت له التقارير السابقة أن كوريو يواجه فقط سابور من دون تردد، دفع القائد النوميدي المقاتلين النوميديين، الذين كانوا يقاتلون ويفرون، نحو نقطة اختارها يوبا الأول مسبقا لتعزيزاته<sup>24</sup>.

وصل كوريو إلى وادي مجردة بعد مسيرة دامت 16 ميلا عبر طرق قاحلة ورمال في حر الصيف، حيث كانت الطرق والأودية جافة، مما جعله يواجه صعوبات كبيرة كان الرجال والخيول مرهقين وعطشى، وبعض أسلحة المشاة تركت خلفهم، وعندما وصل إلى وادي مجردة، وجد كوريو، وسابور، ويوبا قد سبقوه إلى المكان أدركوا أنهم متوجهون نحو التلال، لكن سابور هاجمهم أثناء عبورهم لوادي مجردة.

وجد كوريو نفسه وحيشه محاصرين، وقد تم انتزاع أسلحة المشاة منهم، فر عدد من المشاة، ولحق بهم جيش يوبا، لكن الخيول كانت متعبة وعطشى، والمسير كان طويلا، كانت المشكلة الأكبر أن جيش كوريو وخيوله بلغ بهم الإرهاق حدا خطيرا بعد عبور الكثبان الرملية، كان يفترض أن يكون وادي مجردة في الطريق الذي سلكوه، لكنه لم يكن كذلك، إذ تغير المسار، وذلك بسبب كوريو وحيشه، وكذلك سابور، الذي كان يحتل المسار الثاني لوادي مجردة ويعبر معهم حتى جنود كرونيليا كانوا محاصرين قرب المسار الثالث للنهر<sup>25</sup>، في هذه الحادثة، اعتقد الرومان أن الأفعى عادت من جديد عند خسارة كوريون، أو أن النهر يحتوي على أفعى خرافية شبيهة بالتي حاربها ريغيليوس<sup>26</sup>.

**ثانيا: تأثيرات الطبيعة والحضارية لتقلبات وادي مجردة على الرومان:**

شهد وادي مجردة تغيرات في مساره، مع فترات من الجفاف والفيضانات، إضافة إلى تراكم الطمي، مما أثر بشكل مباشر على استقرار الرومان وتعطيل مشاريعهم.

### 1. تغير مسارات وادي مجردة وتأثيره:

في العصور القديمة، كان نهر باقرادس مجردة يصب بالقرب من قرطاج، لكنه غير مجراه بفعل الترسيبات، بعد أن سد الجزء الشمالي الغربي من شبه الجزيرة، التي كانت تقوم عليها المدينة، فتح النهر لنفسه مساراً ثانياً نحو الغرب، ثم شق مجرى ثالثاً بمحاذاة سفوح الجبال، وانتهى به المطاف إلى البحر، تحت الرأس نفسه الذي أقيم عليه معسكر كرونوليوس لاحقاً، ومع انسداد مخارج النهر، فتح مجرى رابعاً بعد فيضانات طويلة، ما زالت آثارها ظاهرة في سهول الداخل، هذا هو مجراه الحالي المتعرج، الذي يسير وفق مقاومة التربة، حتى يصل إلى مشارف مدينة أوتيكا (Utica)، حيث تسبب في طمر تدريجي للموانئ والخليج بأكمله (ينظر الملحق رقم 1)<sup>27</sup>.

قبل أن يغير النهر مجراه، كان الجسر الروماني ضرورياً لعبور النهر باتجاه المدينة، ومع ذلك لا نجد اليوم سوى بقايا قليلة من النهر القديم، الذي تم التخلي عنه منذ زمن طويل، ليتم استبداله بجسر جديد تغير بسبب مياه النهر<sup>28</sup>. يتكون الجسر الروماني من ثمانية أقواس بها فتحات فوق الأعمدة لتصريف المياه أثناء الفيضانات الكبيرة، ذلك الجسر اليوم بعيد عن النهر، يعني هذا ما يدل على أنه قد جف أو غير مجراه، وبقي سوى الجسر في اليابسة أو على ضفافه القديمة، ترك مستنقعات وبركا ومنايع متعاقبة على مدى طويل<sup>29</sup>.

كما تشهد المساحات الواسعة المزروعة على ثراء مدينة أوتيكا خلال العصر الروماني لكن هذه المدينة تأثرت بتقلبات نهر مجردة، الذي كان يمر بالقرب من أسوارها، إن هذا النهر العجيب، الذي ينبع من وادي خميسة في الجزائر، يجري في مسار متعرج عبر وادي مجردة لمسافة تقارب 50 ميلاً، وقد غير مجراه أكثر من مرة بعد تجاوزه سدا يقع في ميناء فارينا (porto farina) الواقعة شمال أوتيكا.

تقع مدينة أوتيكا اليوم على بعد 10 أميال شمال موقعها الأصلي، وذلك نتيجة لتدمير قرطاج ولتقلبات نهر مجردة، كما تزعم الروايات أن هذا النهر كان أحيانا هادئا بحيث يمكن عبوره بسهولة، وفي أحيان أخرى يتحول إلى طوفان هائج يغرق المناطق المحيطة، ويجرف معه الماشية والمنازل والأشجار<sup>30</sup>.

لهذا السبب شملت التلال المرتفعة نسبيا القريبة من ضفاف وادي مجردة، مواقع مفضلة للاستيطان البشري، إذ إن ارتفاعها النسبي جعلها في مأمن من الفيضانات المتكررة وتظهر الأدلة الأثرية وجود استيطان بشري في هذه المواقع يعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد، وهي الفترة التي بلغت فيها أوتيكا ذروتها خلال الألفية الأولى قبل الميلاد، في ذلك الحين، لم يكن نهر مجردة نشطا كما هو لاحقا، ولكن تهديد الفيضانات، بسبب قرب بعض المنشآت من النهر، أدى إلى تدمير عدد من المباني في الموقع، ومن منتصف القرن الثالث قبل الميلاد وحتى نهاية العصور القديمة، وعلى مدى أكثر من قرنين، شهد مجرى نهر مجردة ثلاث تحولات رئيسية في مساره، تسببت كل واحدة منها في تحويل مجراها وتوسيع الطمي الذي سد الخليج القديم، تشير النصوص القديمة أن نهر مجردة لم يعد يتدفق بحوار مدينة كاسترا كونيليا كما كان في السابق، أما المجرى الثالث الذي أشير إليه بعض المؤرخين قد بدأ بالتشكل خلال القرن الرابع بعد الميلاد عند الطرف الجنوبي لسهول أوتيكا عندما توقفت المجاري السابقة<sup>31</sup>.

## 2. فيضانات وادي مجردة وتأثيراتها:

خلال الفترة الرومانية، بدا أن المناطق المحيطة بسهل مجردة كانت تعرف استقرارا نسبيا في مناسيب المياه في الأودية، فكان النشاط الزراعي مكثفا، وقد تركزت المستوطنات الرومانية في سهل مجردة وعلى التلال المشرفة على حوض النهر، لاحظ الباحثون أن الاستقرار الجيومورفولوجي لوادي مجردة قد حدث لأول مرة بعد فيضانات دامت لقرون

من مرحلة الهولوسان، حدث هذا الاستقرار مع بداية الاحتلال الروماني للمنطقة، وشرعت في استغلال مياه خلال مع عهد الأباطرة الأوائل<sup>32</sup>.

أما في المرحلة الثانية من العهد الروماني، فقد ازدادت هذه الديناميكية بالوادي بشكل ملحوظ، ما أدى إلى فيضانات شديدة أثرت على المستوطنات الرومانية في المنطقة، وتشير الأدلة إلى أن منسوب المياه ارتفع في تلك المرحلة إلى حوالي 7 أمتار فوق المستوى العادي، دامت لغاية العصور الوسطى، حيث عاد لحالته الطبيعية<sup>33</sup>.

يعد الجسر الروماني في سيميثوس جسرا مهما في إطار إعادة بناء القناة القديمة المؤدية إلى وادي مجردة، كانت شيمتو تقع عند نقطة تقاطع طرق، بين الطريق الممتد من هيبوريجيوس غربا إلى فاغا (Vaga) شرقا، وكذلك بين المحور الواصل من ثابراكا إلى سيقا شمالا وجنوبا، ويعتبر الجسر الروماني في شيمتو (Simithus) حتى اليوم القناة الوحيدة المعروفة بوصفها معبرا مائيا في وادي مجردة، ووفقا للبحوث الأثرية، كان الجسر في حالة جيدة بين عام 112 ميلادي وحتى القرن الثالث الميلادي، ومع ذلك يبدو أن وادي مجردة، الذي كان مستوى مياهه غير مستقر، لم يكن في بعض الأحيان مناسبًا للحفاظ على الجسر لفترة طويلة، مما أدى إلى تكرار تعرضه لأضرار بسبب الفيضانات، وقد تطلب ذلك إجراء العديد من الإصلاحات، بالإضافة إلى إعادة توجيه الطريق الروماني الرئيسي، بما في ذلك الطريق المؤدي إلى هيبوريجيوس، مرارا وتكرارا، فضلا عن تعديل تقاطع وادي بني ملح ووادي مليس في نفس المنطقة، نتيجة تكرار الفيضانات<sup>34</sup>.

وجدت أعمدة رومانية قد انهارت تحت تأثير فيضانات نهر مجردة ووصلت إلى قاع النهر قبل إخراجها، كما انهار جزء من الجسر الروماني القريب من شمتو، ففي نهر مجردة، في الجزء العلوي من بقايا الجسر، أزيل عنها الركام بصعوبة من قطع الحجارة، التي كانت مدفونة حتى ثلاثة أرباعها، وبعد رفعها فوق مستوى الماء، تم العثور على النقش التالي:

"قيصر ابن الإلهي نيرفا، تراجانوس، الإمبراطور السابق، المنتصر في جرمانيا، والدافع، الكاهن الأعظم، الحائز على السلطة التريبونية للمرة السادسة عشرة، الإمبراطور للمرة السادسة، القنصل للمرة السادسة، أبو الوطن، أنشأ هذا الجسر من أساساته الجديدة بواسطة جنوده وعلى نفقته الخاصة لصالح مقاطعات إفريقيا. (ينظر الملحق رقم 5)" من خلال هذا النقش يتضح أن الإمبراطور أمر بإنشاء هذا الجسر من أساساته، ربما بعد انهيار جسر قديم، وأمر ببناء جسر جديد على أنقاضه في نهر مجردة<sup>35</sup>.

### 3. مشكلة الطمي وفقدان التربة:

حوض نهر مجردة كان دائما له تأثير كبير على حياة وأسلوب العيش لمن يعيشون بجواره، في العصور القديمة كانت التلال مغطاة بين مناطق والغابات السفلية، وكانت مستنقعات طبيعية، ولكن تم تحويلها لاحقا لزراعة الحبوب ولأجل هذا الأمر تم قطع الأشجار مع قدوم الرومان، وما بعده بدأت التعرية تأخذ مجراها الأمطار الغزيرة جرفت كميات كبيرة من التربة الخصبة من التلال إلى نهر مجردة، وقد يكون هذا سببا في تغيير مجراه، كلمة "مجردة" أصلا تعني في العربية التعرية، ومن هناك تم نقلها إلى البحر عبر القرون، حيث تم فقدان حوالي 6 ملايين فدان من التربة في قاع البحر الأبيض المتوسط، كما ترسبت كميات كبيرة من هذه التربة في قاع وادي نهر مجردة بسبب الفيضانات السنوية<sup>36</sup>.

بعدها حدوث فيضانات مجردة تسير مياهه ببطء نحو الرمال القاحلة، تلك لمياه الطينية من وادي مجردة تغمر الأراضي المجاورة بالتربة الطينية، فتصبح هنا الأراضي غير خصبة ولا صالحة للزراعة، هذا ما تحدثه مياه الأنهار في تدمير الحقول، تصبح أرض خطيرة يصعب عبورها، بالقرب من ضفافه توجد غابة مظلمة لا تسطع الشمس في أراضيها<sup>37</sup>.

لما غير نهر باغرادس مجراه أو تدفقه مرات عدة، دائما يحمل معه كميات هائلة من الطمي والرمال حتى سد خليج أوتيكا، مما جعله غير صالح للملاحة أو لإنشاء ميناء<sup>38</sup>، وعلى بعد حوالي 6.5 أميال، يعبر نهر مجردة جسر نوميدي تم بناؤه على أنقاض الجسر

القديم، إنه هيكل صلب يتكون من سبعة أقواس، بين كل زوج منها فتحة لتمرير مياه الفيضانات وقد كان الهيكل الأصلي للجسر موجودًا عند موضع يُعرف بمنزارة بيسونيل إلا أن الأقواس كانت سيئة البناء ويرتفع هذا الجسر نحو موقع يعرف باسم ثوبروسكوم نوميدياروم (خميسة حاليًا)، لقد غير نهر مجردة مجراه كثيرًا عبر التاريخ، فهو يقضم الضفاف ويترك الرسوبيات في مناطق أخرى، خاصة في الشتاء عند ارتفاع منسوب المياه<sup>39</sup>.

منذ عهد أغسطس، تم إصلاح الجسر الذي يربط نهر مجردة وسهل بالطريق المؤدي إلى ثابراكة مما شكل عنصراً حيوياً في شبكة نقل الرخام، وحتى عهد هادريان كان عبور نهر مجردة في اتجاه شتمتو يعد الوسيلة الأرخص والأسرع لنقل الكتل الرخامية، غير أن تراكم الطمي في ميناء أوتيكا أدى إلى تغيير مسار النقل<sup>40</sup>، كانت هناك أقواس جزء من الجسر الروماني، تمر تحته مياه نهر المجردة، ويُستخدم لعبور النهر، إلا أن الجسر لم يصمد طويلاً، وضاعت معه معالم كثيرة عبر الزمن (ينظر الملحق رقم 3)<sup>41</sup>.

على المدى القصير، بذل المزارعون الرومان جهوداً كبيرة لأجل تقليل فقدان التربة التي تحدث بعد إزالة الغابات على منحدرات التلال، وقد تم تحليل مظاهر التعرية وبذلت محاولات لإبطاء حركة المياه وفقدانها، بحيث يمكن استخدام المياه بشكل فعال في خدمة المحاصيل الزراعية، ويعزى للمزارعين الرومان الفضل في بناء مدرجات زراعية أثبتت فعاليتها في تثبيت التربة، كما كشفت الدراسات الحديثة في وادي مجردة، لكن رغم هذه المكاسب فإن تدهوراً بيئياً حصل بعد تراجع السيطرة الرومانية، إذ تأكلت المدرجات المهجورة، وعلى الرغم من أن وادي مجردة تلقى كميات مناسبة من الأمطار خلال الفترة الرومانية، فإن المناطق المجاورة له لم تنعم بنفس الكمية، ما دفع الرومان إلى إنشاء قنوات طويلة لنقل المياه الجوفية من المرتفعات إلى الأراضي الزراعية<sup>42</sup>.

نتجت عن الكمية الهائلة من الطمي والرمال التي تحملها مجاري نهر مجردة وروافده منذ

القدم، تراكمات كبيرة عند مصبه في البحر، لدرجة أن مدنا مثل قرطاج وأوتيكا أصبحت اليوم في قلب اليابسة، بعد أن كانت تطل على الساحل، وحلت محل الموانئ القديمة الحقول والمستنقعات والبساتين، إن هذه الترسبات المستمرة، الناتجة عن الطمي الذي يحمله النهر، تفسر التحولات العديدة التي طرأت على مجراه عبر الزمن.

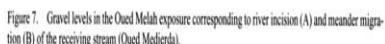
على مر العصور، حفر نهر مجردة واديا واسعا يحتوي على أحواض تخترق الجبال الساحلية شمالا والمرتفعات جنوبا بشكل متدرج، بينما كانت روافده، وأهمها وادي الملاق، تتغلغل بعمق، ومنذ العصور القديمة كان وادي مجردة طريقاً مهما لاختراق المنطقة، سواء في سياق الغزو أو الاستعمار، بدايةً بالعهد الروماني، وتظهر وفرة الحفريات أن منطقة مجردة الوسطى والعليا كانت من المناطق الأساسية لتخزين الحبوب في شمال إفريقيا أيام الرومان لكن الغابات التي كانت تغطي الوديان أزيلت خلال العهد الروماني، وذلك لزراعة القمح بدلا منها، إذ كانت هذه الغابات تشكل عائقا أمام زراعة الحبوب، وهو ما لم يكن ملائما للرومان في سياق استغلالهم الزراعي للمنطقة<sup>43</sup>.

إن وادي مجردة والأودية القريبة منه أغلبها اليوم يمكن عبورها سيرا على الأقدام بمساعدة الحصى الكبيرة، وفي طولها الكبير دليل على أن النهر كان يحمل كمية ضخمة من المياه، في الواقع اليوم لم يعد سوى سيول بسيطة بالإضافة إلى عرض هذه الأودية كوادي مجردة، ارتفاعها كان يصل 20 مترا أحيانا في ضفافه توجد آثار رومانية مثل بيت صغير روماني يقع على تل صغير كان مغطى بأربعة أمتار من الرواسب، وهو ما يفسر أن وادي مجردة عرف فيضانات كبيرة تجاوزت 20 مترا من ارتفاع النهر، سبب آخر يدعم فكرة الفيضانات الكبيرة التي تعرض لها هذا النهر هو المستنقعات والأراضي الرطبة التي توجد عند قمم الجبال التي تحيط بالسهل الذي يفصل بين وادي مجردة والملاغ بواسطة ارتفاع تدريجي طفيف لكنه كبير نوعاً ما، 22 مترا فوق السهل<sup>44</sup>.

خاتمة:

ومن خلال دراستنا للموضوع يجب الاستفادة من الطرق التي استخدمها الرومان لمواجهة التغيرات التي تحدث بالمناطق المجاورة للأودية، مع ضرورة اهتمام المختصين في الآثار من اجل ترميم الآثار وحمايتها أثناء حدوث الكوارث الطبيعية والمناخية في مثل تلك المناطق.

**الملاحق:**



1146 مجلة قيس، للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 09، العدد 02، ص 1132 - ص 1150، ديسمبر 2025

A. J. Howard and others, Alluvial Archaeology in Europe ,op.cit, p213.

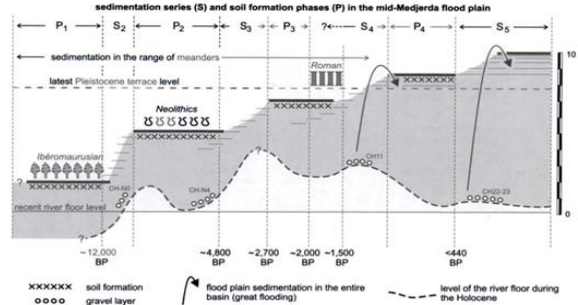


Figure 9. Water level amplitude of the Oued Medjerda during the Holocene.

**الملحق 2:** منحني بياني يوضح ارتفاع منسوب مياه وادي مجردة فترة الهلوسين (الى نهاية الرومان بدأ يتراجع المنسوب).

A. J. Howard and others, Alluvial Archaeology in Europe ,op.cit, p213.

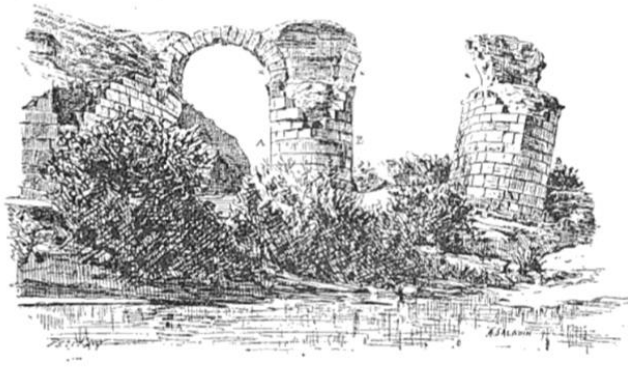


Fig. 23. — Deux piles du pont de Chemtou vues en aval.

**الملحق 3:** بقايا حطام الجسر الروماني عبر المسار القديم لوادي مجردة المرجع: Charles Tissot, le basin ..., op.cit, p124



L'un des premiers caennais qui rencontre Regulus en Afrique fut un bon monstreux.

١

الملحق 4: صورة الثعبان الضخم الذي حاربه ريغليوس قرب وادي مجردة.

المرجع: P H antichan, la tunisie et son passé son avenir, libraire ch

.Delagrave, paris, 1887,p28



الملحق 4: نقيشة لاتينية تبرز إعادة ترميم أو بناء جسر روماني عابر لوادي مجردة.

المرجع: Charles Joseph tissot, op.cit,p12.

<sup>1</sup>. Louis Piesse, Algérie et Tunisie, Hachette et Cte, Paris, 1891, p 395.

<sup>2</sup>. E. Lempeski et H. Dévier, Punic War, pater press, Leuven, 1989, p 84.

<sup>3</sup>. Louis Vivient et Autres, Nouveau dictionnaire géographique de l'univers,V3, Libraire Hachette et c te, Paris, 1887, p.763.

<sup>4</sup>. E. Gareth, Algérie, Firmin didot, Frères Éditeur, Paris, 1850, p 52.

- <sup>5</sup> . G. Jock Cherman, The Soil and Airfoot, CRS Press, an Imprint of Tyler, USA, 2014, p61.
- <sup>6</sup> .Gabrielle Guillaume et autres, Pellegrin, Carthage, Latine et Chrétien , Payot Éditeur, Paris, 1950,p64.
- <sup>7</sup>Will Durant, The Complex Theory of Civilization, p.135 .
- <sup>8</sup> .Thomas Godin, How Africa Shaped the Christian Mind , inter varsity Press, London, 2007, p.18.
- <sup>9</sup> .L. YANNE C. Lang aster, Intonative Vaulting in the Architecture of the Roman Empire, Cambridge University Press, New York, 2015, p 112.
- <sup>10</sup> . Jules Toutain, La Tunisie au début du XXe siècle , FR budeval éditeur, Paris, 1904, p.61.
- <sup>11</sup> .Jack Roslin, and Aaron François Cattran, Histoire Romaine depuis la Fondation de Rome, T 6, Imprimerie de Roy, Paris, 1722, p 440.
- <sup>12</sup>.Onésime Reclus, La France et ces colonies, T 2, librairie hachette et CTE, Paris, 1889, p 115..
- <sup>13</sup>.Bernard Heubvemens, Histoire du débat annuaire de la mer , palon éditeur, Paris, 1965, p.41.
- <sup>14</sup> .Daniel Ogden, Dragon West , Great Glardon Streets, Oxford, 2021, p. 43.
- <sup>15</sup> .Pierre Hubac, Carthage , édition Bernard., Paris, 1952, p 143.
- <sup>16</sup> .André Howard, Le Berbère Lumières de l'accident, rue platine nouvelle édition latine, Paris, 1984, p 38.
- <sup>17</sup>.Jules Van Ootgen, Gaius Marius , Secrétariat des publications, Bruxelles, 1964, p 121.
- <sup>18</sup> .André Howard et Vincent Serralda , Le Berbère Lumière de l'Occidentaux , nouvelle édition latine, Paris, 1984, p 147.
- <sup>19</sup> CHarle André Julian, Rives de Bagrada, Tunisien, vol 8, N 1, Secrétariat général de l'Institut, Paris, 1901, p. 460.
- <sup>20</sup> .Charles-Joseph Tissot, Le Basin de Bagrada....., Op.cit , p. 55.
- <sup>21</sup> . Stéphane Gsell, Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, Librairie Hachette, Paris, 1918, p 110.
- <sup>22</sup> . Karl John E. Other, Geschichte Roms wabrend des , verffalles der Republik , Wien der Verlagung Wilhelm Koedner, broslan, 1893, p 319.
- <sup>23</sup> . Jules Van ooteghen, Pompée le Grand bâtisseur d'Empire , Palais des académiciens, Paris, 1964, p 582.
- <sup>24</sup> . Ernest Mercier, L'histoire de l'Afrique septentrionale(berberie) Depuis les temps les plus reçu jusqu'à la conquête française 1830 , Ernest Leroux Éditeur, T1, Paris, 1888, p 75.
- <sup>25</sup> .I. Morcelli, Le Delta Bagrada , à l'Académie d'inscription et belles-lettres, Imprimerie Nationale, Paris,1878,pp 109 110.
- <sup>26</sup> .Floriane Chafferard, Silius Italicus , Peterslang, New York, 2010, p.122.
- <sup>27</sup> . Eugène George Henry et Céleste Buron Stofflet, Histoire du jour César civile du passage Rubican à la bataille , imprimée nationale Paris, 1887, pp.307–308.
- <sup>28</sup> .Victorine Curien, Voyages archéologiques dans la région de Tunisie , T2, Henry plon Imprimerie, Paris, 1862, p 173.
- <sup>29</sup> .W. Posier, Asie, Afrique, Amérique, Aucune , Paris, 1983, p. 158.
- <sup>30</sup>A. Alexander Graham, Roman Africa History of the Roman Occupation of North Africa, Longmans, Green and Go Press, London, 1992, p. 20.
- <sup>31</sup> Roland Paskove, Le Delta de la medjerda (Tunisie) depuis l'Antiquité, Littoraux en perspective, Paris, 1994, pp 18–20.
- <sup>32</sup> . Gavin Walsh, The Archaeology of Mediterranean Landscapes, Cambridge University Press, New York, 2014, p. 94.
- <sup>33</sup> . A. J. Howard and others, Alluvial Archaeology in Europe, Belkama Publishers, London, 2003, pp 213–214.
- <sup>34</sup>.A. J. Howard and others, Alluvial Archaeology in Europe, Belkama Publishers, London, 2003, pp 213–214.

- <sup>35</sup> .Charles-Joseph Tissot, Le Basin des Bagrada et la Voie Romaine-Cartage à Hippone par bulla regia, Imprimerie Nationale, Paris, 1881, p 10 14.
- <sup>36</sup> .Carbole Santmyer, How la Tunisia is developing its medjerda river valley, in foreign agriculture, v4, n°1, weakly magrine of usa,USA,1996,p6.
- <sup>37</sup> .tibbrius !!catius silius Italicus, poncorum, trad, F.Copet ; F ,Panskouf editur, paris, LIV, VI 147.
- <sup>38</sup> .Gaston Boissier, L'Afrique romaine , Books on Demande, C.H., France, 2022, p 25.
- <sup>39</sup> . Albemarle Street and John Murray, Handbook of Travellers in Algeria and Tunisia , iralignments library, Boy veaw, 1878, p. 285.
- <sup>40</sup> .Michael Palin, , North Africa the roman coast, The globe Pequot press, USA, 2009, pp 304.
- <sup>41</sup> .Louis Carton, De Tunisie à Dougga, Imprimerie Danielle, France, 1893, p 6.
- <sup>42</sup> .Ressian Renne, Burroughs créations Savery and Libration Paul lettre to Rome face à l'agriculture impériale et industrielle , cassade Books, London, 2022, p. 94 93.
- <sup>43</sup> .Frédéric Bachmann Minder, Tunisie l'Orient, au seuil de l'Europe , Elsevier Sequoias, Paris, 1973, p53.
- <sup>44</sup> .Philippe Etienne Thomas, Essai d'une description géologique de la Tunisie , V1-2, Imprimerie Nationale, Paris, 1907, p. 28.